جامعة بنها
كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

اللغة في رواية : حمّالة القمح للدكتور أحمد السعودي

Language in the Novel: The Wheat Bearer - by Dr. Ahmed Al-Saudi

اعداد
الدكتور/ نايف محمّد النجادات
أستاذ مشارك/جامعة البلقاء التطبيقيّة

Nayif Mohmmad Alnijadat
Al- Balqa' Applied University (BAU)
Jordan
nayif8154@bau.edu.jo

المجلد ٥٩ ابريل 2023
/https://jfab.journals.ekb.eg

الملخص بالعربية:

هذا بحث موسوم بِـ (اللغة في رواية: حمّالة القمح – للدكتور: أحمد السعودي)، يهدف إلى بيان أثر اللغة العربية الفصيحة في بناء عناصر العمل الروائيّ، وبيان اللغة لملامح الإرث الثقافي والحضاري لمنطقة بصيرا التي كانت عاصمة الدولة الأدومية، كما يبين أثر اللغة في رسم صورة بصيرا وهي يُعاد بناؤها وتشكل قبل زهاء قرنين، في ظلّ ظروفٍ مؤثرة، وتعرضت الرواية لتفاعل المجتمع مع الحروب التي حدثت عالميا ومحلياَ.

وفي الرواية لغة استشرافية نحو المستقبل والماضي، وفيها تضمينٌ لأبيات من عيون الشعر العربي من مختلف العصور، وأبيات من الشعر الشعبيّ، تُذكر القارئ بها، ويُطل المؤلف في ثنايا الرواية بنصوص مكتوبة باللغة الإنجليزية، وصوّرت لغة الرواية ظاهرة الخروج بنوعيه الداخلي القريب والخارجيّ البعيد، وكان مشرقياَ عندما ولج موضوع الصراع بين الحضارات، وقد أوصت الدراسة بإجراء بحوث في الأعمال الإبداعية لبيان أثر الخروج ، وأثر الموظفين وأثر المؤسسات الوطنية في بناء المجتمع.

الكلمات المفتاحية:

اللغة، العناصر.الاستشراف، التناص، الخروج.

Language in the Novel: The Wheat Bearer - by Dr. Ahmed Al-Saudi

Abstract

This research is tagged with (Language in the Novel: The Wheat Bearer - by Dr. Ahmed Al-Saudi), and it aims to explain the impact of the classical Arabic language in building the elements of the novel, and explaining the language. Among the features of the cultural and civilizational heritage of the Busayra region, which was the capital of the Edomite state, as well as the impact of the language on drawing a visionary picture during its reconstruction and questioned about two centuries ago, under influential circumstances, and the novel was exposed to the interaction of society with the wars that occurred globally and locally.

The novel has a forward-looking language towards the future and the past, and it includes verses from the eyes of Arabic poetry from different eras, and verses of popular poetry. The author looks at the folds of the novel with texts written in English. The conflict between civilizations? The study recommended conducting research in creative works to show the impact of the near and far exit, the impact of government workers and the impact of national institutions on building society.

Key words:

language, elements. Foresight, intertextuality, immigration.

المقدمة:

هذا بحث موسوم بِـ اللغة في رواية: حمّالة القمح – للدكتور أحمد السعودي *، وقد صدرت عن دار وائل للنشر في عَمان، أشهرتْ الرواية في عام ٢٠١٩، والدكتور أحمد السعودي أكاديميّ مولود في الأردن ١٩٦٠، نال الدكتوراه في الأدب والنقد سنة ١٩٩٧، وهو أستاذ جامعي، درّس في عدد من الجامعات العربية، وله بحوث لغوية ونقدية، وهو من أبناء بصيرا المكان الرئيس في الرواية موضوع البحث، وحمّالة القمح هي أمّه، وعطية من شخصيات الرواية هو أبوه، كما وردت شخصيات في الرواية من أقاربه، فالرواية مزجتْ بين فن السرد القصصي وفن السيرة.

وقد عُقدتْ عدة ندوات في عدد من المدن الأردنية تعرض الرواية، شارك في الندوات المهتمون بالموضوعات الثقافية، وقد شارك الباحث في عرض الرواية عند إشهارها أول مرة في مدينة العقبة، وولد من تلك المشاركة هذا البحث، وهو دراسة للمستوى اللغويّ في عناصر الرواية الأساسية: الحدث والزمان والمكان والشخوص والعقدة، ودراسة لغة الظواهر الأسلوبية في الرواية؛ منها: الاستشراف، والتناص، والإطلالة على الثقافات الأجنبية من خلال كتابة بعض الحوارات باللغة الإنجليزية في الرواية، فضلا عن وصف المواد المادية والمعنوية من التراثيات، وظاهرة الخروج بشقيه القريب والبعيد وأثره في بناء الشخصية نفسيا وفكريا. وقد وجد الباحث فيها تميزا، وإثراءً يستحق الوقوف عليها وحدها؛ فالروايات –فيما أرى– تتحد في العناصر الأساسية، وتفترق في مدى بروز الظواهر الأسلوبية؛ لذا فالرواية تتميّز عن غيرها فيما تضيف من التفاتات أسلوبية، قدْ تسهم في رفع العمل أو خفضه .

والرواية عمل لغوي بحت؛ إذْ تُعدّ اللغة سيدة العناصر في الرواية (مرتاض، ١٩٩٨)، إنها الوعاء الذي تقدم فيه الرواية؛ فبوساطة اللغة تُسرد الأحداث، وتتضح

* سيُشار إلى رواية: – حمّالة القمح – في متن البحث والهوامش بـِ: الرواية.

معالم الشخوص، ويمثُّل الزمن، ويُرسم المكان، وتُحبك العقدة ويجري حلها...وغير ذلك من عناصر الرواية لا يتضح بيانه إلا باللغة.

والدراسة للغة رواية ما –أية رواية– تستدعي قراءة عميقة للعمل؛ قراءة تسبر غور النص واستكشاف –ما يمكن– من المخفيات المتنوعة، وذلك لا يتأتى إلا بأدوات تحليلية للغة النص تشمل عناصر داخل الرواية نفسها، وأحوالاً وظروفاً خارجها.

وهذه الدراسة موضوعها دراسة لغة العناصر الأساسية والعناصر الأسلوبية التي بُنيت عليها رواية–حمّالة القمح؛ وقد تناولت الدراسة: لغة سرد الأحداث من خلال: الضمير، والفعل، والوصف. ولغة الحوار ورسم عنصر المكان وعنصر الزمان.

أما العناصر الأسلوبية في الدراسة فتشمل: الاستشراف، والتناص، والخروج، والتراث، واللغات الأخرى. والله تعالى الموفق.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من أهمية الرواية التي تدرسها؛ فقد صدرت رواية حمّالة القمح للسعودي عام ٢٠١٩، وأحدثت حراكا ثقافيا ونقديا بصورة ملحوظة؛ وذلك من خلال ندوات ثقافية متعددة أقيمت لعرض الرواية ومناقشتها، وذلك بحضور عدد كبير من المهتمين في الشأن الثقافي الروائي، لاسيما أنها تعرض فترة زمنية مهمة عالمياً ومحلياً؛ فقد تفاعل شخوص الرواية مع الحربين العالميتين، وعرضت الرواية معاناة عائلة فلسطينية نزحتْ من الرملة وسكنت الطفيلة، فالرواية مُدونة تراثية لمنطقة بصيرا من محافظة الطفيلة في جنوبيّ الأردن، وهي تصور جوانب متعددة من حياة أبناء بصيرا منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن الحادي والعشرين.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة سابقة للرواية، والبحث يدرس لغة العناصر الأساسية للقصة: الحدث والزمان والمكان والشخوص والعقدة، وهذه الدراسة هي استكمال لدراسة لغة العناصر الأسلوبية: الاستشراف، والتناص، والخروج، والتراث، واللغات الأخرى.

ميزة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على أهمية اللغة الفصيحة في العمل الأدبيّ، ففصاحة اللغة ترفع من قيمة العمل الأدبي، وتزيد من عمره الزماني والمكاني؛ فقد كُتبتْ رواية: (حمّالة القمح) باللغة العربية الفصيحة للكلٍ من الراوي والشخوص.

كما تأتي هذه الدراسة في بواكير الدراسات التي تُعنى بلغة هذه الرواية الأردنية، وتُعدّ الروايات في الأدب الأردني قليلة.

منهج الدراسة:

منهج الدراسة وصفي تحليلي؛ وذلك بالوقوف على نص الرواية، وجمع النصوص المتعلقة بأبوب البحث، ثم تصنيفها، وتحليلها، لتكوين مناقشات مقنعة، وإجابات علمية وافية لأسئلة الدراسة.

أسئلة الدراسة:

تُحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

كيف بنى مؤلف الرواية عمله اللغويّ؟

ما أثر ثقافة الكاتب في إنجاح الرواية؟

كيف قامت اللغة بإبراز العناصرالأساسية والأسلوبية في الرواية؟

معوقات الدراسة:

لعل الدراسات النقدية في الجانب اللغوي شحيحة، والتحدي الآخر هو دراسة رواية فور صدورها، والتحدي الثالث يكمن في أنْ تتناول عناصر أسلوبية قلما يتطرق

إليها الباحثون منها: ظاهرة الخروج في الرواية، والاستشراف، وقد تمكّن البحث من تجاوز هذه العقبات.

القسم الأول: اللغة في العناصر الفنية للرواية

يشمل الحديث في القسم الأول كلاً من: العناصر الأساسية للرواية؛ الشخوص، والحدث والزمان والمكان، وهي عناصر بنائية، ويشمل القسم الثاني العناصر الأسلوبية، وهي تشمل الجوانب الإثرائية في العملة.

١- مضمون الرواية:

رواية حمّالة القمح تُعدّ مدونة تاريخية تراثية للحياة الريفية في الأردن، ؛ منذُ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين وذلك من خلال سرد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للعائلات في منطقة بصيرا في محافظة الطفيلة الأردنية، وتعرض حياة المجتمع ومجريات حياتهم؛ الأعراف والعادات والتقاليد والمعتقدات، وتوثق بدايات المؤسسات الرسمية والمدنية في بصيرا منذ نشوئها؛ إنشاء مدرسة بصيرا الأولى (الرواية، ١٦)، وبناء أول مسجد في المنطقة(الرواية، ٣٤)، وكان بناؤهما ردة فعل مجتمعية إيجابية لحادثة قتل فياض غدراً.

القسم الأول: اللغة في العناصر الفنية للرواية

تقوم الرواية على سرد لغوي للأحداث؛ يقوم به الراوي الداخلي، والشخصيات التي تُحْدث الحَدث وتُطوره، وفي أثناء ذلك تتحاور الشخصيات، وتتبادل التأثر والتأثير، في حيز زمانيّ ومكانيّ، ويأتي الوصف ليمثُل الموصوف في ذهن المتلقي. وتتأزم الأحداث بين الفينة والأخرى فتُسرّع الأحداث، ثمّ تعمل اللغة على تبطئة وتيرة الأحداث وتهدئتها، كلّ هذا يجري باللغة؛ نسيج الرواية وثوبها. ولا بدّ من عرض موجز للرواية في البداية.

١- هيكل الرواية:

رواية حمّالة القمح تسرد تاريخ عائلة في بلدة بصيرا منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين، وفي هذا السرد توثق الرواية تراث المجتمع؛ أعرافه وعاداته وتقاليده ومعتقداته، كما توثق تاريخ البلدة منذ نشوئها؛ بناء أول مدرسة في بصيرا (الرواية، ١٦)، ثم بناء أول مسجد (الرواية، ٣٤)، وجاء بناؤهما نتيجة ردة فعل إيجابية من المجتمع لمقتل فياض غدراً.

ووثقت بداية عمران السوق، وتوثق الرواية كذلك نشوب الحروب: الحرب العالمية الأولى، وحرب ٤٨، وحرب ٦٧، وتوثق الرواية نصر الجيش الأردني في عام ١٩٦٨. (الرواية: خبر سقوط فلسطين ٥٦ وسقوط القدس: ١١٢، والنصر: ١١٧)، ونزوح عائلات من الرملة إلى بصيرا، كما تتحدث الرواية عن مظاهر اجتماعية سيئة في المجتمع مثل السحر والحسد والحقد، كما تتحدث عن نشوب الخلافات بين الأسر، والقتل العمد، وفي المقابل التعرف على حالات من الحب والكره، والزواج القسري من ابن العم، وكيفية قضاء الوقت في غير موسم الحصاد، كما نرى في الرواية كيف يعمل الآباء والأجداد على صنع مَنْ يرثهم، ويسير على منهجهم.

٢ – لغة المدخل والمخرج:

اهتمّ المؤلف بلغة روايته في جميع جوانبها، بقصد جذب القارئ، وحمل رسالة الرواية منذ اللحظات، وسيبين البحث لغة المدخل والمخرج، وتشمل لغة الغلاف: العنوان، وصورة الغلاف، واسم المؤلف، ولغة جملتي الاستهلال والختام؛ أول جملة في الرواية، وبداية الفقرة الأخيرة، فهذه المشاهد اللغوية المتنوعة لها جميعا الأثر البالغ على القارئ في مقاربة النص أو عدم الاهتمام به.

٢ – ١ لغة عنوان الرواية:

تبدأ الرواية من غلافها وما يحوي من بيانات؛ فالعنوان لغة مكثفة وإيحائية تشي بعالم الرواية، وهو يتناص مع أجزاء الرواية ليربطها ويشدّ بعضها ببعض

(حليفي،١٩٩٢). فعنوان الرواية هو: حمّالة القمح؛ تعبير يحيل على البيئة الريفية، حيث القمح وحصاده، ثم حمله إلى البيدر، وقد تخصصت النكرة (حمّالة) بإضافتها إلى المعرفة كلمة القمح(ابن هشام،١٩٩٨)، ويبدو العنوان أعلى الغلاف، أما في أسفل الغلاف فيُرى صورة لامرأة ريفية في يديها عدد من شمالات القمح، وخلفها بيدر كامل قائم، وبين العنوان والصورة وضع المؤلف اسمه: الدكتور أحمد عطية السعودي، وهو بهذا يجعل نفسه ضمن بيئة الرواية، فهو منها، ومؤكد أن صورة الغلاف خضعت لموافقة المؤلف، وحصاد القمح وحمله هو عمل أهل الريف، والواقع الذي يعيشه المؤلف نفسه، وحمّالة: صيغة مبالغة من اسم الفاعل حامل أو حاملة، وإذا تكرر هذا الفعل ممن قام به تأتي صيغة المبالغة حمّال ، للتعبير عن المعنى المراد، والقمح : نبتة حولية من الفصيلة النجيلية، وتعيش على حبوبها هي والذرة والأرز غالبية شعوب الأرض، ونرى أنّ العنوان: (حمّالة القمح) بدأ بصوت الحاء وانتهى بصوت الحاء. والحاء صوت رخو مهموس يصاحب نطقها بجريان النفس، وبحة في الصوت، ويستخدم صوت الحاء في البيئة الريفية لغرضين متناقضين؛ الأول: دعاء الأنعام للشرب، والثاني: زجر الأنعام وردعها وطردها، وبهذا يكون مكون الصفحة الأولى دال كل الدلالة على بيئة الرواية ومضمونها إلى درجة عالية. (الرواية، الغلاف)

٢-٢ لغة الاستهلال والختام:

بدأتْ الرواية بجملة: "بزغ القمر" (الرواية: ٣)، وانتهت بالفقرة الأخيرة التي بدأت بعبارة "غابت الشمس؛ غابت حمّالة القمح " (الرواية: ٢٦٨)، وحياة الناس في الريف لها علاقة كبيرة بالقمر والشمس؛ وكأن هاتين العبارتين فيهما تناص مع العنوان: "حمّالة القمح" (حليفي،١٩٩٢). فالمؤلف أراد أن يُكَوّن صورة كلية، في

جملتين مكثفتين: بزغ القمر، فجاءت حمّالة القمح، وغابت الشمس فغابت حمّالة القمح.

ولا شكّ بأن القمر والشمس في حركتهما كأنّما يُحدثان حركة موازية في حياة الناس، فالأمسيات المقمرة تعني السمر بعد يوم طويل من العمل، كان قد بدأ بشروق الشمس، وانتهى بغروب الشمس، ثم الانتظار ليوم عمل جديد.

والجملة الرئيسة للفكرة الختامية تقول: "غابت الشمس؛ غابت حمّالة القمح" (الرواية: ٢٦٨)، ولم يقل غربت الشمس، لأن الغياب المفضي إلى استحالة العودة هو المعنى المراد، وقصد بذلك موت والدته، وقد عبر عن تأثره بموتها بربطها بغياب الشمس وليس بغروبها، إنّه غياب لن يفضي إلى عودة، وسيتأثر بهذا الغياب أبناؤها وأبناء بصيرا، ففقدان الشمس يؤثر في الجميع.

ويأتي العنوان وصورة الغلاف معاً للإيحاء بموضوع الرواية، والتشويق لها؛ فاللوحة الفنية جاءت سابرة للموضوع، والعنوان الدال الموحي، وهذان العنصران في العتبة من العمل يجعلان المتلقي يتشوق إلى الدخول في عالم الرواية ومقاربته. (حمداوي،١٩٩٧)

ولعلّ المؤلف بوساطة تقنية لغة الغلاف –الملحوظة والمكتوبة معاً– قد حقق براعة الاستهلال (التبريزي،١٩٩٤)، وجذْب المتلقي من عتبات النص إلى داخله الحافل بالأحداث. وعندئذٍ يدخل المتلقي إلى النص وقد مال إليه، ورغب في الاطّلاع عليه.(العسكري، ١٩٨١)

٣– لغة سرد الأحداث:

لغة السرد فصيحة، فأصوات الألفاظ كما وردت في الفصيح صوتا واشتقاقا، والتراكيب منضبطة بقواعد اللغة ومعياريتها. وسيتناول البحث الحديث عن لغة كل من: الضمير، والفعل، والوصف.

٣-١ الضمير

وظّف المؤلف الضمائر في الرواية لأغراض متعددة، منها: التشويق إلى الشخصية التي يتكلم عنها، والتأكيد على الشخصية ودورها في البناء الروائي، فضلا عن الاختصار والربط.

يُلاحظ أنّ السرديات تبدأ في غالبية فصول الرواية بضمير الغائب الذي يعود على شخصية جديدة في القصّ وغير محددة أو معروفة لدى المتلقي، وهذا مخالف لنظام اللغة العربية؛ فالأصل أنْ يعود الضمير على المعرفة (جبر،١٩٨٣)؛ يقول: " صبّت الشمس حرارتها فوق رأس هذا الغريب المهاجر" وفي الفقرة الثانية يعيدُ إلى شخصية الغريب المجهول الضمير، يقول: "رمى منجله وتولّى إلى الظل حيث تعد زوجه الغداء"(الرواية،٦١)، وبعد عدد من الفقرات يتبيّن أنّ المقصود هو: صابر؛ يقول: "استغرق صابر في التأوه والأنين" (الرواية،٦١). وبهذا يتضح أنّ المقصود بقوله: منجله: أي منجل صابر. وزوجه: أي: زوج صابر. والبدء بالضمير يعطي التشويق، لمعرفة الشخصية، والتفخيم والتعظيم لهذه الشخصية. (السامرائي،٢٠٠٢)

أمّا قوله: زوجُهُ ففيها إضافة الضمير إلى كلمة زوج، وهذا تخصيص للنكرة. (ابن هشام، ١٩٩٨)، وقد قام الضمير بوظيفة الربط في النص فضلاً عن التشويق والتخصيص. (حسان، ١٩٩٨)

وهذه الطريقة في تقديم الضمير، وتأخير الاسم؛ تقنية استخدمها المؤلف في الكثير من المواضع. ويقوم المؤلف أحيانا بإبقاء الضمير دون فكّ لتعميته؛ منها أنّه يقول: "وها نحن منذ سبع سنين عجاف نكد و ونكدح". (الرواية،٦١)

ونلحظ أنّ الضمير في الرواية –أي ضمير– قام بوظيفة الربط في هذا الحوار (حسان،١٩٩٨)، وكذلك في سائر الحوارات؛ فالذي يتحدث عنه الراوي بضمير الهاء

في أكثر من فقرة هو نفسه صابر، ولا يخفى ما في ذكر الضمير من اختصار، وهذه وظيفة أساسية للضمير.

٣ – ٢ الفعل:

يقوم السرد على الجملة؛ إذْ لا معنى للتركيب دون تعالق بين معاني مكوناته، والجملة في اللغة العربية على الأشهر جملتان: الجملة الاسمية، نحو: القمر بدر، أو جملة فعلية فعلها فعل ماض ، نحو: بزغ القمر، أو فعل مضارع، نحو: يبزغ القمر، أو فعل أمر، نحو: اقرأ، وتدخل عدد من الأدوات على الجملة، وتؤثر في معنى التركيب، فتغير الزمن نحو قولنا : لم يكتب؛ فيها قُلب الزمن إلي الماضي، أو لن يكتب ؛ فيها قُلب الزمن إلي المستقبل(سيبويه،١٩٩١)، وقد يستشرف المؤلف في روايته المستقبل، كأن يقول: لا يدري أن الخبر المفرح قادم، وأنه سيرزق بمولود يسميه أحمد.(مرتاض، ١٩٩٨)

اتكأ الراوي في الرواية على الفعل الماضي مثال:" وقعَ الخبر على أمه وزوجه أشدّ ما يقع خبرٌ مؤلم على قلب إنسان..." (الرواية، ٦١)، ويقول: "أرخَتْ زوجُه منديلها، واستعبرت، وهطلت دموعها على الوجه اليافيّ، والشال المقدسيّ، والأردان المضمخة بطيوب اللد وصرفند".(الرواية،٦١)

ولغة الراوي هنا فصيحة مزركشة بعلامات الإعراب والترقيم، مما يساعد على صحة قراءتها، والراوي يذكر اسم المكان القريب؛ المهجر، والمكان البعيد وهو موطنه الأصلي: الرملة، مع تصوير انفعالات الشخصية، يقول صابر:" آهِ، يا حليمة، أين كهف الرمل هذا من الرملة الحبيبة! " (الرواية، ٦١)، ثم يتذكر صابر أيام الطفولة في الرملة الفلسطينية، وبعدها يذكرنا بتاريخ سليمان بن عبد الملك وأقدام الفاتحين من الأيوبيين والمماليك والشعراء وأشعارهم كشاجم الرملي معاتبا الزمن الحاضر يقول: " لحا الله من فرق بيننا وبينك، ...". (الرواية، ٦٣)، وديدن الراوي التركيز على الفعل

الماضي، ثمّ يأتي بالفعل المضارع؛ فالتناوب بين الماضي والمضارع والمبني للمجهول كان نهج السرد، وهذه أمثلة من خلال صفحات متتالية من ٢٣ – ٢٥، وعلى النحو الآتي:

-"يصدر القاضي حكمه، ... اصطفّ التلاميذ ... مشى بين الصفوف ... همس التلاميذ جاء من البدو... ". (الرواية،٢٣)

-والغالب هو الفعل الماضي لأنه الأنسب للرواية المحمّلة بالتراث وعناصره.

-أما الفعل المضارع فقوله:" ألا تعرف الذي ضرب الضابط إنجليزي ... ثمّ يضحكهم على سائر أهل الأردن، ويتهمهم بالخنوع ...". (الرواية، ٢٤-٢٥)

-أما تحويله لزمن الفعل المضارع فكان بأداة النفي والقلب -لم- يقول: " فلم يتحرك شيء، لا الزرع الذي يحصد، ولا الأشجار التي تحيط به".(الرواية ،٦١)

ويقول عن الأغاني الحماسية التي كانت تبثها الإذاعة الأردنية: " كانت تحتفل بانتصارات الجيش الأردنيّ على العدوّ ".(الرواية، ١١٧)

ولعل المؤلف يريد من تفصيح الكلام الحواري بين الشخوص تخليد عمله، وتوسيع دائرة قرائه، فمن المعلوم أن اللغة المحلية لا تكاد تفهم إلا في محيطها.

ولعله أيضا يريد أن يقول: ينبغي أن تكون لغة الناس لغة فصيحة، وكأنه يستنكر اللهجة العامية الدارجة، على الرغم من ورود اللهجات في الأهازيج الشعبية التي وردت في الرواية.

وإنّ أسلوب المراوحة بين الفعل الماضي والمضارع فيه حركة للزمن الذي يتضمنه كل من الفعلين، ولعله بذلك يعطي حيوية للنص، وكأنّ المتلقي يعيش مشاهد واقعية في زمن القراءة.

٣-٣ الوصف:

كثر وصف الطبيعة؛ الطبيعة الساكنة الجامدة في الرواية، فدل على ذاتها بصفتها (الجرجاني،١٩٩٨)، وبذلك يكون قد قربها إلى المتلقي ، ودب فيها الحياة ،

وجعل المتلقي يشاركه في شعوره بها بعيداً عن الحوادث التي تحدث فيها(مرتاض،١٩٩٨)، ووصف الطبيعة المتغيرة المتقلبة التي يسعد فيها جميع من يعمرها ؛ يقول في وصف منطقة في بصيرا اسمها (المصاد): "أقبل ذات ضحوة، يهش بعصاه على غنمه في منحدر معشب تحت مقطع صخري عالٍ، كأنه جبل جاثم على فم الوادي، قد تجوّف أسفله، فقامت فيه كهوف ومغارات، وتدفق الماء من أعلاه في نوازل طويلة معجبة، انبت ماؤه العشب والشجر، وجذب أنواع الطير، وألوان الفراش، وأغرى الصيادين في ابتناء كمائن لصيد حمامه وغزلانه، فاصطلح الناس على تسمية هذا المقطع الهائل بالمصاد". (الرواية، ٣٢)

نلاحظ أنه وصف المكان الصخريّ الجامد، فدبّ فيه الحياة، بما ذكر فيه من ماء ونباتً وطير، ثم أعطى المتلقي اسم المكان، وهو: المصاد، وكأنه يعلل التسمية قبل ذكرها، ولم يذكر اسم الذي جاء للمكان، وهو أبو المؤلف: واسمه عطية، وجعل وقت الوصف في الضحى، إذْ تتضح الأماكن والأشياء في وقت الضحى.

وكأنه بذلك يريد أن يحد من سرعة جريان الأحداث وأنْ يكسر رتابتها، وإدخال السرور إلى المتلقي بتصوير الطبيعة (بحراوي،١٩٩٠)، تمهيداً لحدث كبير في الرواية، وهو مقتل فياض..

ويصف مقتل فياض غيلة على يد أحد الطامعين من أبناء بصيرا، ويقف مع المغدور هو وأبناء القرية، وكان حكم القاضي أيضا مؤدبا للجميع؛ يقول: "هزت حادثة القتل أهل القرية ... فتداعت أفكارهم إلى ما يجلب لهم الأمن" (الرواية، ٣٣)، يُشير بذلك إلى بناء المسجد والمدرسة.

ويصف والدته قبل أن يتزوجها والده على لسان جدته تقول: " ولو قد تواطأ البشر على ملكة جمال الروح، لكانت هي...وأنى لدافنشي أن يرسم بريق الأنس، والوداعة في عينيها!!... وإنها يا بني في جملة واحدة: خريدة من عذارى الحيّ

مِعطارُ!" (الرواية ،٤١)؛ فجمال والدته لا يُرسم ولا يُصور، وهو بهذا يُعبّر عن حبه لها، وإعجابه بها.

واستعرض المؤلف في هذا الوصف ثقافته؛ فهو معاصر يعرف عصره من خلال ذكره لدافنشي، وهو يعرف –أيضاً–الماضي دل عليه من خلال ذكر ألفاظ قديمة الاستخدام، لا يفهمها إلا جيله، وهي وصفه للحسناء التي تزوجها بأنها خريدة من عذارى الحيّ مِعطارُ!، وهو تناص مع بيت للمتنبي وتصرف فيه؛ إذْ يقول:

فربما جزت الإحسان موليه خريدة من عذارى الحيّ مِكسال

(المتنبي، ٢٠٠٣، ديوان المتنبي،٣٧٠)

ويرسم السوق في الريف، يقول: يدخل عطية السوق الذي بني أكثره من الحجارة، والطين، وزُينت واجهته الأمامية بأقواس حجرية جميلة، وبُني بعض محاله من الإسمنت، يدخلُ متجها إلى دكانه الذي زاحمته دكاكين أقرانه: حمود، ومطر، وسند، وأبو رخية، هناك قرب المطحنة حيثُ يفد الفلاحون، وبعض البدو، تفوح من ثيابهم روائح السمن واللبن والتبن. (الرواية، ٨٣) ، والأسماء المذكورة آنفاً هي أسماء واقعية لرجال عاشوا في بصيرا.

يلاحظ القارئ في الوصف بعض المفاجأة التي تدهشه، فالشلالات: نوازل طويلة معجبة. واتفاق الناس: تواطؤ. والدكاكين تتزاحم، ورائحة الثياب تخبر عن بيئات أصحابها. إنه يصفها فيدب فيها الحياة، وكأنها ماثلة أمام المتلقي.

ولغة الوصف أحيانا تحتاج إلى التوضيح، نحو: نوازل، وكمائن، وخريدة مِعطار؛ كلمة انداحت إذْ يقول: "وتوهج قرص البدر، وانداحت أشعته في رقعة السماء." (الرواية، ٤٣)

٤– لغة الحوار:

سرد المؤلف روايته بلغة فصيحة للراوي الداخلي والشخوص، ولم تظهر اللهجات إلا في بعض الأغاني الشعبية، والقصائد النبطية المضمنة في متن الرواية.

٤ –١ لغة الراوي الداخلي:

لغة الراوي الداخلي في رواية (حمّالة القمح) فصيحة، وجاءت تُبين بيئة الحدث، وتقدم الشخوص، وتصور المكان الريفي، والراوي يبدأ بالضمير الغائب، ولا يلبث هذا الغائب أن يُكشف عنه بعد فقرة أو فقرتين؛ جاء في الرواية: " بزغ القمر، فأقبل يمس بأشعته أفئدة الهائمين مسّاً خفيفا، ...استأنس بتلك الأشعة، وألقى فراشه واتكأ، وأدار بصره يرقب شيئا عجيبا في السماء، فشُغل به عن زوجٍ تُخاصم في الحسن شمس الضحى، وشُغل به عن النار الموقدة أمام بيت الشعر...وشُغل به عن كوب الحليب ... وعن صهيل فرسه " (الرواية، ٣)، ثم يقول: "كان ما أشغله سحابة بيضاء رقيقة ... قد أظلت سماء قرية أحبها حدّ الوله، وحمل له أزيز الريح أنها بصرى حاضرة أدوم في الزمن السحيق، وبوابة الفتح لأرض الشام" (الرواية، ٣). وفي نهاية الصفحة الرابعة من الرواية يكشف عن الراوي عن المشار إليه بضمير الغائب، يقول: "استغرق الشيخ سلمان في تأملاته ماداً عينيه يتأمل سحابة السماء التي تتأمل كائنات الأرض". (الرواية،٤)

فالراوي يرسم المكان بكافة تفاصيله، ثم يُبين المؤثرات الجانبية، ويُقدم الشخصية بضمير، ثم يسميه، وهذا يسهم في التشويق، ويُضفي على الشخصية شيئا من الأهمية لدى المتلقي، فيتطلع لمعرفة الشخصية التي قُدّمت بهذه الطريقة المُشعرة بالعظمة.

وأوكل المؤلف إلى الراوي مهمة التعريف بالتراث، جاء في الرواية:" أصبح أبو بهجات، وإن الشمس لتنشرُ أشعتها على الكروم، فتهبها لونا صافيا فائق الروعة، يُحسّ بها الفلاحون، ودخان نيرانهم يرتفع، والجمر يتوهج، وقد ألقيت فيها أقراص الخبز، غير أنه لم يحس بشيء من ذلك؛ إذْ كان قلبه يتمزق أسفا على ابنه الفتى

يوسف الذي اختفى"(الرواية، ٢١٤). يُلاحظ أنه وصف المكان الطبيعيّ، ثمّ وصف كيفية صنع خُبز الملّ، أو خُبز النار، وهذا من تُراث المنطقة.

وعلى لسان الراوي ينقل الأخبار السياسية، ويجعل رأيه فيها يتسلل إلى القارئ بهدوء، يقول: "أدار عطية المؤشر (المذياع)، فإذا الإذاعات العربية، تصرخ، وتزعق، وتبشر بالنصر المؤزر...وتعظّم شأن القادة، وتشبهم بخالد بن الوليد...وإذاعة العدو لا تبثّ إلا الموسيقى الهادئة، فحار كيف يسمع صفو الأخبار...فتذكر إذاعة لندن...التقى فيها أكابر المذيعين فأنزلتهم منزلا كريما فأبدعوا، وأجادوا". (الرواية، ١١١)

وفي هذا نقد مُباشر لسياسة الإذاعات العربية في العناية بالمذيعين، ومنهجها المضلل للمستمع؛ فالعربيّ متلهف لسماع الحقيقة، ولكنه لا يسمعها إلا من خارج المنطقة برمتها.

٤- ٢ لغة الشخصيات:

لغة الشخوص في رواية حمّالة القمح مُفصّحة، فلم تكن هكذا في واقعها المُعاش، وتعمّد المؤلف أن يخرجها فصيحة على نحو موازٍ للغة الراوي الداخلي(مرتاض،١٩٩٨). مثال: "استغرق الشيخ سلمان في تأملاته، وبينا هو غارق في لجج التأمل والتسبيح؛ إذْ انبعث صوت يناجيه، انه صوت حفيده قاسم: يا جدي، اشربْ كوب الحليب... مالك ذُهلت عن الشاي والقهوة وخبز الصاج والمُهرة، كأنما أنت شاعر يُناجي الأطلال والأثافي!". (الرواية، ٥)

ولا يستغرب الحفيد رد جده الذي امتلأ بالشاعرية، يقول الشيخ: "لا تعجب يا ابني ففي قلادة نسبنا جدتنا سُكينة بنت الحسين...وصفها أبوها رضي الله عنه بقوله: أما سُكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله عزّوجلّ! "(الرواية،٥)، فعلّة فصاحة الجد نسبه العريق، وارتباط أصوله بفصحاء العرب.

وأسماء الشخصيات في الرواية موضوع البحث؛ قريبة من واقعها أو محورة تحويراً يسيرا لا يبعدها عن صدق عبق التراث، من هذه الأسماء: قاسم، وجميعه، وسلمان، ومطلق، وشحاده العريني، وأحمد سفاسفه، وعيد السعودي، وعيد الرفوع، وفياض، وضيف الله ابن عطيه. ومن أسماء المدرسين: المعلم عمر العنانى ابن حلحول الخليل، ثم المعلم حافظ العزب، والمعلم راشد العوض، وذكر الشيخ أحمد الدباغ، وكل هذه الأسماء عاشت فعلا في بصيرا. (الرواية،١٨ و١٤، ٢٤، ١٢٨ وغيرها)

ولعل ذكر هذه الأسماء لأشخاص كانوا فعلا يعيشون في بصيرا يدل على منهج السيرة الممزوج بالرواية، وفي هذا التذكر وفاء وتخليد لأشخاص عاشوا في بصيرا من مواطنين ومعلمين.

ومن المناسب الذكر أن المؤلف جلب شخصيات في الرواية ترمز إلى الخير والشر؛ إنهما حنيش ورقطاء؛ مبعث الحسد والحقد السحر والتفريق بين أبناء القرية، واسم حنيش يتوافق مع دلالته في اللغة؛ فالحنش لغة: الحية العظيمة السوداء، والرقطاء: نوع من الحيات أو العظاء، وهي السحلية. (المعجم الوسيط: مادة حنش ومادة رقطاء)، والرواية بهذا توظّف دلالة الاسم ليكون متوافقاً مع الدور الذي تقوم به الشخصية. (الخطيب،٢٠١١)

ولأهمية دلالة الاسم يُغيّر المؤلف اسمهما عندما تغيّر سلوكهما؛ يتغير اسم حنيش إلى بِشر، واسم رقطاء إلى رابعة؛ جاء في الرواية: "وأصبح حنيش الذي صار اسمه بِشرا، وقد لبس عمامته وثوبه الأبيض وجبته، ومشط لحيته، وتسوك، وأخذ يتغلغل في الأزقة، يطرق أبواب الدور، يذكر أهلها بالله واليوم الآخر". (الرواية،٢١٩)

كما جلب المؤلف بعض نماذج عالم الجن والأساطير، فهذا (خيتعور)" الذي يفرق بين المرء وزوجه"(الرواية،٧٨)، وهي شخصية خرافية، ويبدو أنها معروفة في الحكايات المروية في بصيرا.

ولعل المجتمع العربي آنذاك في أواخر العهد العثماني كان يؤمن بتأثير الجن على البشر، ولهذا تكثر الحكايات الشعبية المليئة بالأساطير والخرافات، وإنّ تطرُّق المؤلف إلى هذه الحكايات يزيد من واقعية الرواية.

٤-٣ المنولوج:

تتحدث الشخصية أحياناً مع نفسها(قاسم،١٩٨٤) فيتبيّن من هذا الصراع الداخلي بعض خوافي الشخصية؛ فها هو الجد سلمان في مطلع الرواية يستغرق في التأمل، وتساعده عوامل الطبيعة المتنوعة في الكشف عن مكنونات نفسه ليقول: " أيها الفَلك، إنّ خالقك لبديع، وإنّ فيك عجبا للمتعجب". (الرواية،٥)

ويقول على لسان حنيش: "وراح هو يتمتم، كمن شعر بالقهر: سيحيق بك وببنات جنسك مكركنّ، وإذا ركنت إلى هذا الطبع المقيت فسوف تعيشين في عذاب "لا مساس" كالسامري" (الرواية،١٥٢) نلحظ أنّ النص الأخير كان حنيش ينتقد سلوك زوجته، ولم يُجاهر بهذا النقد، بل جعله في الحديث الداخلي، وكأنّ من يمارس هذا السلوك لا يجرؤ على المجاهرة بالنقد، فيبقيه بينه وبين نفسه.

ويلجأ إلى حديث النفس عند الشعور بالألم: "خشي رفاق إبراهيم من طول إغماءته، فمسحوا جبينه بالماء البارد، وضربوا أصداغه بأيديهم، فأفاق، وكلمات تتفلت من لسانه: غابت الشمس، فما وجودي في هذا الليل الحالك... ". (الرواية،٢٦٨)

وحمّالة القمح التي ماتت هي أمّه؛ وكأنه لا يريد أن ينشر حزنه، فأبدى عدم رغبته في الحياة في إغماءته، وكأنّ أحداً لم يسمعه.

بهذا نجد أن المؤلف وظّف المنولوج للكشف عن الصراعات الاجتماعية، وجعل المنولوج بوحا للآلام الكامنة والمُغيبة في ضمائر أصحابها دون إعلان عنها.

٥- اللغة وعنصر المكان:

تظهر أسماء الأماكن في الرواية كما هي في حيزها الحقيقي(مرتاض،١٩٩٨)، وهي أسماء تقع ضمن دوائر؛ الأولى: داخل بصيرا. والدائرة الثانية: المدن الأردنية. والدائرة الثالثة: المدن والأماكن خارج الأردن.

فقد ذكر المكان الرئيس لأحداث الرواية وهي بلدة بصيرا، ودارت بعض الأحداث المهمة في معالم مشهورة، سواء كانت قريبة منها أو بعيدة، كانت ضمن المنطقة ذكرها الراوي منها: شجرة الطيار وجبل الكولا (الرواية،١٠٥)، ومقتل فياض(الرواية،٣٢)، ويذكر حارات بصيرا، منها: حارة فريوات (الرواية،٨٢). ويذكر جامع القرية الذي تناوب على إمامته كثيرون(الرواية،٣٨)، ومبنى أول مدرسة في البلدة(الرواية،٢٣). ويذكر أسماء عدد من المقامات: مقام حذيفة وحماد، ومقام النبي صالح، ومقام النبي شيت. (الرواية، الصفحات على التوالي:٣٤ ،٣٦، ٨١)

ومن المدن داخل الأردن يأتي على ذكر مدينة الكرك، والسلط، والعاصمة عمان –الهاشمي الجنوبي– (الرواية،٣٨)، وبعض المدن الفلسطينية.

وذكر بعض المدن خارج الأردن؛ منها: مدينة لندن، وذكر بعض معالمها البارزة، منها: التايمز، وساعة بيج بن، وغيرها. (الرواية، ١٨٣)

ولعل المؤلف يريد القول بأن بصيرا ليست بمعزل عن العالم، وأن بصيرا كانت في زمن ما حاضرة من حواضر العالم، إذْ كانت عاصمة الدولة الأدومية في القرن السادس عشر قبل الميلاد، وحضورها في روايته يحيي مجدها من جديد.

٦- اللغة وعنصر الزمن:

استخدم المؤلف تقنية ذكر الزمن بصورة متعددة؛ فقد ذكر الزمن بصورة مباشرة ١٨٥٠، وذلك في الحوار الذي دار بين الجدّ وحفيده قاسم، وذكر بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤، ويذكر الحرب العالمية الثانية ١٩٣٨، ويذكر الزمن الصورة

المباشرة تاريخ بناء المسجد الأول في بصيرا، وهو ١٣٦٠هجري ١٩٤٠ م، يدونه بالميلادي والهجري، لارتباط المسجد بالتاريخ الإسلامي الذي اعتمد التاريخ الهجري. (الرواية، الصفحات على التوالي ٦، ٣٧،٢٠)

وجاء في الرواية: "قالوا: قد ذهبت إحدى عشرة سنة من أول القرن العشرين، دون أن تلحق قريتنا بركب العلم ...". (الرواية،٣٧)

وجاء في الرواية ذكر الزمن بلغة مباشرة، يقول: "حلّ الخريف، وأتى على كلّ ذي ساق..." (الرواية،١٧٠)، ويقول–أيضا–:"تدافعت الأيام تحفر أخاديدها في وجه الربيع القشيب..." (الرواية،٢٣٩). وفي إيماءة إلى زمن نهاية العام الدراسيّ، يقول: "أوشكت المدرسة على إقفال أبوابها؛ إذْ بلغت الامتحانات أجلها...".(الرواية،٢٢٥)، وفي هذا تسريع للأحداث. (القضاة،٢٠٠٠)

ونجد الزمن الروائي بلغة واضحة مباشرة، فقد جاء في الرواية: " قال: هل طلعت نجمة الصبح" (الرواية،٦). وجاء في الرواية: "أشرق الصباح..." (الرواية،٣١). وقول الراوي: "أقبل ذات ضحوة..." (الرواية،٣٢). وذكر القيلولة. (الرواية،٥٦)

وغير ذلك كثير. (الرواية،٩٣، ١٨٠)

ويصور الفرق في الشعور بالزمن الذي سيصبح من الغرائب في المستقبل، يقول:" تتقارب الأزمان حتى يصبح اليوم كساعة، والأسبوع كيوم ...". (الرواية،٨٧)

ويوثق أبناء المجتمع أحياناً الزمن بحدث معين، وذلك عندما ذكر زيارة الملك الحسين بن طلال إلى بصيرا، وهو تاريخ معروف لدى أهل بصيرة؛ لأهمية الزيارة التاريخية (الرواية،٩٦)؛ ولعل القصد من عدم ذكر التاريخ أنّ أثر تلك الزيارة دائم ديمومة الماء الذي وصل كل بيت بأمر من الملك الزائر، وأن هذا التطور ما كان لولا المتكلمة باسم أهالي البلدة –أم عطية– كانت لغتها بليغة ومؤثرة، وعاملا رئيسا في

الاستجابة السريعة لهذا الطلب المهم، وتنفيذه. والإشارة إلى زيارة الملك التي حدثت في التاريخ تأكيد على واقعية الرواية، وكأنها سيرة.

ويُسرع الزمن –أيضاً– في قول الراوي: "وجرت الأيام بماء رقراق"، وقوله: "ومرّ الليل"، وقوله: "وترادفت الأيام"، وقوله: "ودار الزمان"، وغير ذلك. (الرواية،٩٣، ٩٩)

القسم الثاني: العناصر الأسلوبية في الرواية

يُلاحظُ في أثناء قراءة الرواية عدد من الإطلالات التي يُمكن إفرادها ودراستها بصورة منفصلة، وهي عناصر أسلوبية تُثري الرواية، منها: استشراف المستقبل وتصوّر ما سيكون عليه العيش في القرن العشرين وما بعده، والحديث عن الماضي البعيد الذي لم يشهده المعاصرون لزمن القص، ويجدُ القارئ تناصاً مع آيات قرآنية كريمة، واقتباساً لها، وتناصاً مع أبيات من عيون الشعر العربيّ في مختلف العصور، وتضميناً لها أحياناً، وضمّن المؤلف الرواية أبياتاً من الشعر الشعبيّ. وتعرض الرواية جانبا من الصراع الحضاريّ من خلال زيارة أحد شخوص الرواية إلى لندن وإقامته فيها، وعودته إلى بصيرا بعد أنْ تبوأ مركزاً قيادياً في المجتمع الإنجليزي. وتقرأ عبارات باللغة الإنجليزية في الرواية. وجاء في الرواية عرض لحالة خروج الفرد من وطنه، أو هجرته من مكان إلى آخر، هجرة مؤقتة أو دائمة، أوهجرة قسرية ، فقد ذكر هجرةعائلة من فلسطين إلى بصيرا، وخروج موسميّ من الأهالي بقصد الرعي والحصاد، وخروج إلى المدن المجاورة والبعيدة، وسيتمّ عرض هذه العناصر في الآتي:

١– الاستشراف في الرواية

الاستشراف لغة من شرف، بمعنى ارتفع(ابن منظور، د.ت، مادة شرف)، واستشرف: طلب الارتفاع والتطلع إليه، ويقصد بالاستشراف في الاصطلاح الأدبي تطلع الراوي أو إحدى الشخصيات نحو المستقبل، وتوقع ما سيحصل(ابن صفية،

٢٠١٢)، ويمكن أيضا عدّ وصف ما حدث في الماضي البعيد الذي لم يُدون من قبيل الاستشراف .

ولعلّ الغاية من ذكر الأخبار الماضية المجهولة الغريبة، أو تصوير ما سيكون عليه المستقبل من أمور عجيبة؛ هي إحداث حالة من الدهشة لدى المتلقي، وهذه العناصر المضافة إلى الرواية محوجة إلى كاتب واعٍ، ولديه القدرة على فعل ذلك بلغة مدهشة، تصور الغيبيات وكأنها ماثلة للعيان.

ونجد في الرواية مواقف متعددة للاستشراف؛ مثال ذلك قول الراوي في معرض الحديث عن التطور التقني في المستقبل: "قال سيدخل إلى كل بيت حتما، وتدخل معه صناديق، كما تنبا أبو شديد قبل عشرين سنة أو تزيد".(الرواية ، ١٠٦)

تنبأ بصندوق لحفظ الأشربة والأغذية

وصندوق للعجين والخبز وعمل الحلوى

وصندوق لتسهيل الأرقام والأطعمة

وصندوق لغسيل الألبسة وتجفيفها في ساعة

وصندوق لجميع الأدوية وإسعاف الأيدي المجروحة

وصندوق للتدفئة وجلب الحرارة

وصندوق لتبريد الغرفة وأجلب الرطوبة

قالت عجبا إن هذا إلا اختلاق، وأوهام، وخيالات، فلا تُحدّث بها، فيكذبك الناس، وتهون في أعينهم! (الرواية ، ١٠٦)

وجاء في الرواية استشراف عجائبي لمستقبل البشرية، "قال: وماذا عن الإنسان هل سيطير ذات يوم؟. قال : نعم سيطير في جرم عظيم...". (الرواية،٨٩)

ويأخذ الاستشراف أحيانا صورة النظر في الماضي، وما آلت إليه حال من يتحدث عنه، يقول الراوي يصف الشيخ إبراهيم: "ثمّ أخذته إغماءة؛ فتراءت له شاشة كأنما تُعرض عليه، رأى فيها تلك الشابة المليحة عائشة ترفل في الصحة والعافية،

وتُزف إلى زوجها، الشاب النبيل عطية، ثم تنجب ، فيموت لها أربعة من فلذات كبدها...ثمّ تتراءى له وقد تنقلت من مشفى إلى مشفى، وأجريت لها عملية، فما أغنت من ألم، ولا أسمنت من هُزال!".(الرواية ، ٢٦٤-٢٦٥)

حاول المؤلف من خلال الاستشراف تصوير مدى اندهاش مجتمع الرواية في زمانهم الواقعي من التطور التقني الذي نشهده نحن اليوم، واستغراب ذلك المجتمع من الغرائب التي حدثت في الماضي البعيد قبل زمانهم.

٢- التناص في الرواية

التناص "مصطلح نقدي يقصد به وجود تشابه بين نصّ وآخر أو بين عدة نصوص" (خليل، (د.ت.) معجم المصطلحات اللغوية، ١٠٦)، أي :وجود علاقة أو تشابه بين نصين لفظيا أوفي المعنى، ويرى مرتاض أنه " تشرب مبدع بأفكار مبدع آخر أو بآرائه وأسلوبه".(مرتاض، ١٩٩٨، في نظرية النص الأدبي، ٥٦) ، نظر مرتاض إلى التشابه في الأفكار أو الأسلوب.

يوجد في ثنايا الرواية نثر متأثر بالقرآن الكريم؛ يقول الكاتب:" أو مردة من الجان تميزوا غيظا في عين الملح"(الرواية، ١٠٥)، تأثر بقوله تعالى:﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ المُلك/ ٨ ، وقوله : " تنازعوا أمرهم بينهم أيهم يأخذه يكفله"(الرواية، ١٢٠)، يقصد به سارية ابن الرملية، ثم أخذته امرأة إنجليزية بشروط، وهذا تأثر بقوله تعالى:﴿فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى﴾طه ٦٢.

وينثر المؤلف أحيانا في ثنايا روايته أبيات من الشعر؛ فقد أخذ من المتنبي قوله:

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

(ديوان المتنبي،٢٠٠٣، دار المعرفة، ٢٨٦) والبيت مضمن في الرواية في سياق مناسب ، (الرواية،٤٤)

وقول الشاعر أبو ريشة:

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم

(أبو ريشة، ديوان عمر أبي ريشة ، مجلد ١ / ١٠) والبيت مضمن في الرواية. (الرواية،٥٦)

و نجد تحويرا يتناص مع قول عمر بن أبي ربيعة:

كلما قلت متى ميعادنا ضحكت رقطا وقالت بعد غد

(الرواية، ١٥٢) ، حوّر قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد

(ابن أبي ربيعة،١٩٩٦، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ١٠٧)

وتأثر المؤلف بالأمثال العربية مثل: حُفت العزة بكأس الحنظل(الرواية، ٧١)، وحُفّ المجد بشوك الصبر. وكأنه يُذكرنا بقول عنترة العبسي الذي سار مسار المثل:

لا تسقني كأس الحياة بِذلّةٍ بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظلِ

(التبريزيّ،١٩٩٤، ديوان عنترة، ١٣٥)

وتتناثر في الرواية أبيات الشاعر العباسي المتنبي، وهنالك أبيات لكل من أبي نواس، وذي الصمة القشيري، وأبي العلاء المعري، وابن زيدون، وصلاح ابن عبد القدوس، وقيس لبنى وغيرهم.(الرواية على التوالي : ٤١ ، ١٥٥، ١٦٣ ،١٣ ،٤٣، ٤٦ ،١٥٧ وغيرها)

كذلك ضمن روايته شعرا لشعراء معاصرين منهم: بشارة الخوري، وإيليا أبو ماضي أبو عمر أبو ريشة وفدوى طوقان وأبو سلمى و نزار قباني، كما ذكر أبياتا من رباعيات الخيام.(رامي،٢٠٠٠، رباعيات الخيام، ٤٥)

وسآخذ شاعرا لكل عصر ، وأمثل من أشعارهم التي جاءت في الرواية .

١- مثال لشاعر مخضرم ، هو أبو ذؤيب الهذلي يقول:

أودى بني فأعقبوني غصة بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

(الشملان،١٩٨٠، ديوان الهذليين /أبوذؤيب، ، القسم الأول ص٢) وقد ورد البيت في الرواية في سياق يناسب المعنى. (الرواية ، ١٦٠)

٢- شاعر من العصر الأموي هو الصمة القشيري:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشية ان تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

(الشملان،١٩٨٠، ديوان الهذليين /أبوذؤيب، القسم الأول، ٢) وقد ورد البيت في الرواية في سياق يناسب المعنى. (الرواية ،١٨١)

٣- العصر العباسي ومثل الشاعر المتنبي:

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

((المتنبي، ٢٠٠٣، ديوان المتنبي، ٢٥) وقد ورد البيت في الرواية في سياق يناسب المعنى. (الرواية ، ١٦٠)

٤- والعصر الأندلسي ويوم مثله الشاعر ابن زيدون

لا سكن الله قلبا عق ذكركم فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

(ابن زيدون،١٩٩٤، ديوان ابن زيدون ، شرح يوسف فرحات، ١٩٥)

وقد ورد البيت في الرواية في سياق يناسب المعنى. (الرواية، ٤٣)

٥- ولم ينس الاستشهاد بشعر الأعراب، يقول أحدهم :

اليومَ عندك دَلها ودلالها وغدا لغيرك كفها والمعصم

(ابن قيم الجوزية، أخبار النساء، ١١) وقد ورد البيت في الرواية في سياق يناسب المعنى. (الرواية،٣٠)

٦- ويأتي بنص من رباعيات الخيام:

صفا لك اليوم ورق النسيم وجال في الأزهار دمع الغيوم

(رامي،٢٠٠٠ ، رباعيات الخيام ، ص ٤٥)

٧- وأبيات للشاعرة فدوى طوقان إذْ تقول :

أحباؤك أيتها الرملة،

هنا كانوا ، هنا حلموا

هنا رسموا مشاريع الغد الآتي!(طوقان،١٩٩٣، الأعمال الشعرية الكاملة،٣٩٥)

ورد الأسطر الشعرية في الرواية في سياق يناسب المعنى. (الرواية،٣٠)

٨- ويأتي بأبيات من قصيدة نبطية مشهورة :

يا كاتب المكـتوب يابو المكاتـيب يا موصل صوب الديار الركايب

وصل سلامي يم واسرع من الذيب وصل سلامي صوب حضرة عجايب

(الشعر ينسب إلى ولد ابن عياش من ضمن قصيدة مرسلة إلى أحد الأشراف الرابط : https://al-shareef.yoo7.com/t552-topic) والشعر الشعبي ورد في سياق مناسب. (الرواية، ١٤٣)

فضلا عن تضمين الرواية أبيات شعرية، ومقطوعات من الشعر الفصيح والشعر الشعبي، والأهازيج الشعبية؛ منها :

ياالله توكلنا عليك يا سيد المتوكلين

(العمد،٢٠٠٩، أغانينا الشعبية، ٤٤ و ٩٩)، والشعر الشعبي ورد في الرواية في سياق يناسب المعنى.(الرواية، ٤٤)

وحدوهم عند الأعمال الجماعية :

ولع البارود ولع اشتغل ولا تقلع

(الرابط :

https://www.youtube.com/watch?v=gK4TVcGMnVY) والشعر الشعبي ورد في الرواية في سياق يناسب المعنى. (الرواية، ٣٥)

والزجل الشعبي :

لا تطلعي ع الدرج يا زهرة الرمان

شعرك سبايك ذهب والطول طول البان

(الرابط :

https://www.facebook.com/1502779326622167/videos/1613741025525996) ورد الزجل في الرواية في سياق يناسب المعنى. (الرواية،١٣)

وغيرها كثير. (الرواية، ١٤٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨)

ويضمن روايته فقرات من تراث أدبي عالمي؛ غربي وشرقي؛ يقرأ أحد أبطال رواية حمّالة القمح رواية للروائي تشارلز ديكنز ويعجب بشخصية أوليفر التي تشبه شخصيته، ويقتبس نصا منها. (الرواية ، ١٨٧)

ويذكر شيئا من سيرة سلمان الفارسي (الرواية،١٩١)، ويضمن قصصا من ألف ليلة وليلة؛ فقد دار في الرواية حوار بين رقطاء وحنيش في بداية هدايتهما: "... قالت: وما تلك الحكاية، يا زوجي العزيز؟ قال، وقد أنشأ يسترجع أحداث تلك القصة، وراح يُقلد الصبيّ في نبراته وإلقائه، يضغط على مقاطع، ويلين على أخرى، ويرفع صوته، ويخفضه، ويقبض وجهه، ويبسطه ويُشير بيديه، ويميل برأسه : قالت شهر زاد للملك شهر يار ..." (الرواية ، ٢٠٧–٢٠٨)، وذكر الراوي قصة تعرّف المأمون مع بوران زوجته. (الرواية، ٢٣٤)

وهذا له مدلول كبير في الرواية؛ ولعلّ مؤلف الرواية يريد أن يقول إنّ التراث العربيّ متصل بعضه ببعض، ولم ينقطع منذ آلاف السنين وحتى اليوم.

ولعلّ المؤلف –أيضاً– يريد تأكيد أنّ روايته هذه (حمّالة القمح) لا تقل أهمية عن تلك الروايات العالمية، لأنّ بصيرا فيها تنوّع فريد، واستطاعت أن تنجب رجلا هو سارية الذي استوعب الثقافة الإنجليزية بسرعة، وتعرف على روايات أدبائها وتفاعل معها.

٣- تضمين لغة أجنبية :

يعمد بعض الروائيين إلى تضمين روايته لغة أجنبية ؛ فإن كانت قليلة الانتشار فإن القصد قد يكون التعمية والغموض على المتلقي، وإذا كانت اللغة واسعة الانتشار فإن ذلك يُشير إلى عدد من المقاصد ؛ منها ارتفاع مستوى ثقافة بيئة الرواية، وأن ما يُكتب ايضا واسع الانتشار، ومهم كأهمية تلك اللغة .

ونلحظ أن رواية حملة القمح تتضمن نصا حواريا جاء باللغة الإنجليزية:

Welcome Saria in England

This is London

This is her through airport

This is big Ben clock

Times whatever this is this is this is (الرواية، ١٨٢)

وعندما تسمع (جايين) بموت عدد من أبناء القرية القديمة: المختار، أم عطية، وغيرهم؛ تقول:

I am sorry! (الرواية، ٢٥٣)

وفضلا عما تقدم من مقاصد، لعل الكاتب يرمز إلى استيعاب الثقافة العربية لجميع الثقافات العالمية؛ وذلك من خلال (سارية)؛ العربيّ الذي ولد وترعرع في بيئة عربية، هي بصيرا، واستطاع استيعاب معطيات الثقافة الإنجليزية بسهولة، وعاد إلى القرية التي نشأ فيها وهو قائد في المجتمع الذي هاجر إليه؛ وهذا إشعار بتفوق الحضارة العربية الشرقية على حضارة الغرب.

٤- التراث في الرواية

التراث في اللغة هو الإراث ، من ورث، والإراث هو كلّ ما ورث، يُقال ورث مال أبيه ومجده، وغيره(ابن منظور، د.ت. مادة: ورث). ويُقصد بالتراث في هذه

الدراسة العناصر المادية والمعنوية في المجتمع التي تنتقل من جيل إلى جيل ،منها: الأغاني الشعبية، والأمثال، والأكلات الشعبية، والعادات والتقاليد في الأفراح والأتراح.

ونجد في الرواية توثيقاً لعدد من الألعاب الشعبية مثل السيجة وفنيجيلة وكمستير والحجلة والسيارات المصنوعة من الأسلاك المعدنية. (الرواية، ٢٢٥-٢٢٧)

كما نجد بعض الأكلات الشعبية والعادات في الأفراح والأتراح. (الرواية، ١٢٨ و ١٦١ و١٧٣ و ١٨٠)

كما يوثق الكاتب نصوصاً شعرية بالشعر الشعبي تأثر به إيليا أبو ماضي، وهو قول شاعر من البادية:

ياخوي لا احنا فحمة ما بها ضي
ولا انت شمس تلهب الدواء بضياء
(الرواية، ١١)

وقول العمال وهم يعملون :

ولع البارود ولا اشتغل ولا تقلع
(الرواية ، ٣٥)

أنها من الأهازيج الشعبية التي تحث على العمل الجاد ، كذلك بعض الأهازيج ، منها:

لا تطلعي على الدرج(الرواية ، ١٣٩) ، وبين الدوالي(الرواية، ١٥٤) ، ويا سويلم يا وليد العم. (الرواية،١٣٥)

وقصيدة ولد ابن عياش أرسلها أحد الأشراف يبرئ فيها علاقته مع ابنته عجايب، يقول فيها:

يا كاتب المكتوب يا بو المكاتب
يا موصل صوب الديار الركائب

وصل سلامي يم وأسرع من الذيب

وصل سلامي صوب حضرت عجايب (الرواية، ١٤٢-١٤٣)

وضمن في روايته مجموعة من القصص العالمية مثل قصة سلمان الفارسي منذ خروجه من قريته جيل) ، وقصة هارون الرشيد وبوران ، وقصة اوليفر، و قصص من كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة (الرواية، ٣٥)، وبعض القصص الشعبية المشهورة، وقد وظفها الكاتب ، واتكأ عليها لإنفاذ بعض آرائه.

ونجد في الرواية ذكرا لبعض الأكلات الشعبية ، منها المدقوقة ؛جاء في الرواية:"وعمّ الخبر أرجاء القرية ؛ فأمسكت بطرفه نسوة تحلقنّ حول مقر في فناء دار عطية، وهو صخرة مربعة الشكل، مجوفة الوسط، يُدق فيها حبّ القمح ؛ ليُعمل منه أكلة باللبن تُسمى مدقوقة".(الرواية، ٢٢٢) وفي الرواية وصفا لعدد من الألعاب: الحيزبيز(الرواية،٢٢٥)، والقلول والحجلة والكمستير(الرواية،٢٢٦)، وجاء فيها صنع السيارات من الأسلاك للعب. (الرواية، ٢٢٧)

والداية أو القابلة هي من أركان الحياة في القرية، وأم عطية –بطلة حمّالة القمح– تعمل أيضا قابلة، تُعين النساء على الولادة. (الرواية،١٦٢)

وصورت الرواية حياة القرية في رمضان، وصوت المسحراتي، ونشاط النساء لإعداد السحور: "فما هي إلا ساعة حتى تخرج أرغفة مدورة متوردة، يحمل الهواء رائحتها الشهية إلى أنوف النائمين ، فيستيقظون..." (الرواية ، ١٤٤) ، ثمّ يصوّر المائدة وليس عليها إلا قمر الدين؛ يقول:" يتربع قمر الدين وحده على مائدة السحور" (الرواية، ١٤٤)، إنها لغة مباشرة لتصوير مدى البساطة التي يعيشها الناس في بصيرا آنذاك .

كما صورت الرواية إعلان الأفراح في المناسبات الدينية، جاء في الرواية: "وانبعث عطية وابنه الصبي أحمد، وقد لبسا ثيابا جديدة، ومسّا شيئا من طيب، فلقيا هذا المختار ... حرك فمه بسؤال المتعجب: ما أخرجكما في هذا الصباح الباكر؟

...قال عطية: البارحة أعلن الشيخ أحمد هليل أن اليوم هو عيد الفطر، فخرجنا نشهد الصلاة، ونكبر الله... " (الرواية، ١٤٥)

ولم تغفل الرواية جانب القضاء العشائري في المجتمع القديم، فقد استرجع أحد أبطال القصة مجلس قضاء، وجاء ذكر لبعض مرتكزاته: الرزقة، والخصمان، ومقدمة الحجة المسجوعة: يا قاضي يا قاضينا، وأشهر موضوعات الخلاف، وإجراءات القاضي، ثم إصدار الحكم، وأهم ما في الأمر أنّ عدل القاضي هو أساس القضاء؛ فقد أصدر حكما على نفسه في جرم ارتكبه أحد أفراد أسرته، دون تردد. ((الرواية، ١٣–١٥)

وصورت الرواية غالبية ما يجري في الريف: الحب والزواج، والبغض والتشاجر، والموت والولادة.(الرواية ، ١٥٤ ، ٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٦٦ ، ١٦٢ وغيرها.

وكأن المؤلف يريد أن يقول: بصيرا في الواقع قرية من هذا العالم؛ فيها ما فيه من عوامل إيجابية وسلبية؛ فلولا الكره ما عرفنا لذة الحب، ولولا التشاجر ما عرفنا قيمة الأمن والأمان، ولولا مرارة مصيبة الموت ما فرحنا بولادة مولود جديد؛ وهكذا.

٥– لغة الخروج في الرواية

لم تبحث الدراسات اللغوية والأدبية الخروج كما ورد في هذا البحث من حيث دلالته وعوامله وآثاره –بحسب العلم والاطّلاع–؛ لذا فإنّ مصطلح الخروج في هذا البحث أطلق ليستقل عن مصطلح الهجرة، وتتخصص دلالته في المستوى الثقافي والاجتماعي، ويختلف الخروج عن الهجرة في أسبابه التي قد يكون منها: صلة ذوي القربى، وزيارة الأصدقاء، أوالترفيه، أوالتسوّق، أو إشباع رغبة حب الاطّلاع بالارتحال، ولكن ليس منها العامل الديني أو العنصري، أو السياسيّ. وتتفق مع الهجرة في أنها تُعدّ من العوامل المؤدية إلى التغير الثقافي، وذلك باستعارة إحدى

السمات الثقافية أو أحد المركبات الثقافية من المجتمع المهاجر إليه. (زامل ،د.ت. ، سوسيولوجيا التغيير، ٨)

والخروج في اللغة له معان متعددة، ولعل أقربها إلى الدراسة: الخروج يوم البعث، ويوم العيد، جاء في حديث سويد: أنه "دخل على علي في يوم الخروج، فإذا بين يديه فاثورة عليه خبز السمراء، وصحيفة فيها وطيفة " ويقصد بزيارته في يوم الخروج؛ زاره يوم العيد.(ابن منظور، د.ت. ، مادة خرج)

والخروج في هذا البحث يقصد به: انتقال لشخصية من شخوص الرواية أو أكثر إلى مكان آخر؛ داخل الإقليم أو خارجه.

ولعل(الخروج) في الاصطلاح يُعادل (الهجرة) في السيرة النبوية الشريفة، ونلحظ هذا الخروج أو الرحيل من مكان إلى آخر في مختلف المجتمعات وعلى مدى العصور، وكان في الغالب يؤدي إلى نماء وتطور على مستوى الشخص أو الأمة التي خرجت.

ويبدو أن الرحلات الأدبية والثقافية والسياحية –أيضا– تعادل الخروج، وتخصصت لفظة الهجرة بالسيرة النبوية الشريفة. وبهذا نجد أنّ الخروج بحسب المسافة ينقسم إلى: خروج قريب، وخروج بعيد .

نجد في الرواية رحيلاً داخليا، داخل منطقة بصيرا، وهو موسمي سنويّ؛ ويكون بالرحيل من بيوت القرية إلى البساتين؛ يقول: " دأبت العائلة على أن ترحل كل ربيع من دار الطين إلى البساتين، فتقضي الربيع...في أجمل بقعة سماها أهلها القدامى كريمات ريسا". (الرواية ، ٩٧)

أما الخروج الذي بالمعنى الوارد في البحث؛ فقد حصل الخروج في الرواية مرتين: الأولى خروج نحو مدينة عمان والزرقاء في الأردن، والثاني : خروج سارية إلى لندن.

٥-١ الخروج القريب :

حدث الخروج القريب إلى عمان والزرقاء؛ كان أحد الشخوص يتحدث عن رحلة من بصيرا إلى عمان في الباص، يقول في الرواية:" يحملُهم إلى عَمّان، فيعجب الصّبيّ ممّا يرى من هذه المدينة المبنية على سبعة جبال، وقد غصّتْ بالسّكان، والأبنية العالية ... ينظرُ الصّبي إلى الأسواقِ الكثيرة المتداخلة التي تنبئُ عن رَواج تجارتها، ... وبَسْطة عيش أهلها، وتمتُّعهم بأفضل خِدْمة؛ إذ هم في حِضْن الحكومة!".(الرواية، ١٣١)

ويصف الصدمة الحضارية التي أصابت البطل، وهو يرى ازدحام الناس وكثرة السيارات وكثرة الباعة ... ثمّ إذا حلّ المساء، وتأخّرا، مضيا بسيارة أجرة إلى الهاشمي الجنوبيّ، حيث دارُ سلامة بن اِسعيد ابن قريتهما".(الرواية ،١٣١-١٣٢)

٥-٢ الخروج البعيد :

حدث الخروج البعيد في الرواية لإحدى شخصيات الرواية، وهو سارية عندم سافر إلى لندن، ويمكن عدّ هذا الخروج في باب التفاعل بين الحضارات، وبعضهم يسميه الصراع بين الحضارات. يقول :" استحوذتْ دهشةٌ عظيمة على اليتيم الغريب "سارية" مُذْ صعدَ سُلّم الطائرة، واستوى في مقعده، وأذهله تحليقُها فوق الغيوم، وخُيّل إليه أنّه يركبُ البُراق الذي سمعَ عنه في السّيرة، ... حطّت الطائرة في مطار "هيثرو" بلندن، واستقلّت عالمة الآثار "بينت"سيارة أجرة... وقد طلبتْ منه أن يتّجه إلى وَسْط المدينة، لتعرّف الصّبي بها، وهي لا تفتأ طوال الرّحلة في سيارة الأجرة تؤنسُه، وتُضاحكه، وتعلّمُه كلمات بالإنجليزية، وتعرّفه بأسماء المناطق". (الرواية ، ١٨٢)

جاء في الرواية أنّ سارية قد عاد إلى بصيرا، ومعه زوجه الإنجليزية، فسأل أحد أبناء بصيرا والده عن هذا الزائر: " يتكلّم بعربيّة بسيطة، ويخلطُها بالإنجليزية؟"

فأجابه:" إنّه سارية صابر، الدكتور في القانون الدوليّ، وعضو مجلس العُموم البريطاني". (الرواية ،٢٥٠)

سأله عن سبب مجيئه إلى بصيرا فأجاب: " هذه قريتُه أيضاً، فقد وُلِد فيها، بعد أن نزح والداه من الرملة ، وعاشا هنا ... ". (الرواية ،٢٥٠)

ولعل الكاتب يريد أن يقول مدينة بصيرا ليست منعزلة عن الفضاء الخارجي، فهي متصلة بالقريب البعيد، وتتواصل مع الجميع ، وتتبادل التأثّر والتأثير معهم؛ ذلك أن سارية الذي نشأ في بصيرا ومع أبنائها أصبح من أعيان بريطانيا ، ولم ينسَ مهد طفولته وميدان شبابه؛ فعاد إليها زائرا، وكانت زوجه الإنجليزية برفقته، وكأنه يريد أن يُفاخر أمامها ببصيرا.

وقد نجح المؤلف في تصوير الأثر النفسي والفكري للخروج على الإنسان، فقد نقل إلى المتلقي مدى الصدمة الحضارية التي أحس بها شخوص الرواية في أثناء انتقالهم القريب من بصيرا إلى عمان والزرقاء، أو الانتقال البعيد إلى لندن الذي حدث لسارية.

الخاتمة:

تبيّن في نهاية الدراسة أنّها أجابتْ عن أسئلتها، ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

تُعدّ رواية (حمّالة القمح) للدكتور أحمد السعودي بمثابة مدونة لتاريخ منطقة بصيرا منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين، وبصيرا بلدة ريفية زراعية، تقع في محافظة الطفيلة جنوبيّ الأردن. وكانت بصيرا في القرن السادس عشر قبل الميلاد عاصمة الدولة الأدومية طيلة ثمانية قرون .

وقد أثرتْ ثقافة الكاتب في إنجاح الرواية؛ فالمؤلف معلم وأستاذ أكاديمي في مجال اللغويات والآداب، لذا كان واضحا تأثير علمه في بيان عناصر الرواية، وإدارة الزمكنة بصورة احترافية، فالمكان واضح ومرسوم بمعالمه التي تُميزه عن المعلم الثاني، والزمن الداخلي والخارجيّ واضح الأبعاد، وأهم من هذا الوعي المرافق لبناء الأحداث بحيث تتضح المعالم بالقدر الكافي، فلا تداخل ولا ضبابية ولا انقطاع.

وجاءت لغة الغلاف دالة على المضمون العام للرواية؛ فالعنوان: حمّالة القمح، واللوحة المستوحاة من الرواية تضم عناصر من الريف؛ امرأة تحمل سنابل من القمح، وخلفها البيدر، وفوق الجميع البدر. ويلاحظ التكامل بين جملة العنوان والجملة الأولى (بزغ القمر) في الرواية والجملة الرئيسة (غابت الشمس) في الفقرة الأخيرة، ومن البيئة الريفية التي تمثلها الرواية.

لقد تمّ بناء رواية القمح على الرواية الواقعية التي تميل إلى السيرة، والراوي الداخلي يتحدث بضمير أحيانا الأنا، ويقد يتحدث الراوي عن شخصية ما بضمير الـ (هو)، ليُشوق القارئ للتعرف عليها، وأبطال الرواية من أهل بصيرا، وبأسمائهم الواقعية، نجد عطية والد المؤلف ، وحمّالة القمح أمه، وإخوته وأعمامه وأقاربه من مختلف الدرجات، وتظهر شخوص الموظفين الرسميين كما هم، وقد أوجد المؤلف شخصية أسطورية بإسم: خيتعور، وشخصيات بهلوانية هي كل من: رقطاء و حنيش، شخصيتان تمثلان الشرّ والحس، ونمت هاتان الشخصيتان نحو الضد، عندها تغيّر اسم رقطاء إلى رابعة، وحنيش إلى بشر. ودلالة اللغة واضحة في الاسمين من قبل ومن بعد.

وتبين أنّ لغة الرواية قامت بإبراز العناصرالأساسية والأسلوبية؛ فالرواية مكتوبة باللغة العربية الفصيحة للراوي الداخلي الرئيس، وكانت لغة الشخوص مُفصحة؛ ولعل المؤلف يرمي بذلك إلى إنكاره على كل من يكتب باللغة الدارجة المحكية، ويرمي إلى مخاطبة شريحة واسعة من الناطقين بالعربية في كل زمان

ومكان. وقد وردت بعض المقطوعات الشعرية الشعبية باللغة الدارجة، ولعل المؤلف بهذا يحترم نصوص التراث فلا يتدخل في لغتها.

وتبيّن أنّ لغة الرواية صورت جغرافية بصيرا الطبيعية والبشرية والبيئية منذ منتصف القرن التاسع عشر، واتّضحت في الرواية بعض جوانب التراث المادي والمعنوي؛ ولإضفاء مزيد من الأهمية على شخوص الرواية جاءت الضمائر قبل الأسماء التي تحيل عليها؛ فالراوي يبدأ بالضمير الغائب، وبعد فقرة أو أكثر يُكشف عن الاسم.

وجاءت أسماء شخوص الرواية حقيقية غالبا، لتحقيق أكبر قدر من الواقعية للرواية. ونجد بعض الأسماء مثل: (حنيش ورقطاء) لم يكن واقعيا، كان رمزيا فحسب. ويلمح القارئ أبرز ملامح الشخصيات من خلال دلالة الأسماء اللغوية، سلمان من السلامة، وعطية من العطاء. وتوجد أسماء مصنوعة لاتخاذها رمزا في الرواية للشر، وهما: رقطاء وحنيش. ثم تغير اسم رقطاء إلى رابعة، وحنيش إلى بِشر عندما تغير سلوكهما من صفة الشر إلى فعل الخير.

وتنوعت الأفعال في السرد بين الماضي والمضارع، وظهر التناوب بين الماضي والمضارع هو نهج السرد. وأمر طبيعي في رواية أنْ يسيطر الفعل الماضي على الرواية؛ إذْ كان المؤلف يحوّل الفعل المضارع –أحيانا– إلى المضي بأداة الجزم والنفي والقلب (لم).

وجاءت لغة الوصف لتعكس انطباع المؤلف: وصف ملامح المكان بحب وكأنّ القارئ يراه ويعيشه، كما استطاع سبر أغوار النفس البشرية لكشف النوازع البشرية أفراداً وجماعات.

يلاحظ أنّ المؤلف اقترب كثيرا من الواقع، وبدرجة ملحوظة، حتى امتزج عمل الرواية بالسيرة الذاتية، فبرزت (أنا) المؤلف، و(أنا) القوم داخل مدينة بصيرا، ولاحت (أنا) الإنسانية من خلال التعرض لذكر أحداث الحروب بعامة.

وعبّر عن الزمن بألفاظ مباشرة وأخرى غير مباشرة؛ الزمن الكلي وزمن القص؛ وكان الزمن أحيانا استشرافيا نحو المستقبل أو التفات إلى الماضي، وذلك بتصوير مجريات المستقبل وتقانته، وتخيل الماضي وما جرى فيه ووسائله.

تميزت لغة الرواية بفصاحتها وارتفاعها وشاعريتها؛ ذلك لأن المؤلف أكاديمي معروف بحبه للغة الفصيحة، وعبر عن تمسكه باللغة الفصيحة من خلال ممارسته هذا الدور على شخوص اللغة، وبالرغم من هذا التمسك ترك مساحة للغة الدارجة من خلال الأغاني الشعبية، والقصائد النبطية المُضمنة في الرواية.

وجاء التناص أحياناً بذكر كلمات ذات دلالة على نص قرآني كريم، أو دلالة على حديث شريف، كما جاء بأبيات من عيون الشعر العربيّ شاملا العصور الأدبية، وقطف لروايته ما يُثريها من مختلف الحضارات والثقافات والآداب العالمية الشرقية والغربية؛ وفي هذا إشعار بعالمية روايته، وسعة ثقافته، وبالتالي فإنّ بصيرا وشعبها أيضا يتمتع بالميزات التي حققها ابنها مؤلف الرواية، والمتضمن في لغة الرواية ذاتها.

وكان التضمين لنصوص باللغة الإنجليزية ، وحاول الكاتب إبراز مستوى ثقافته؛ فقد ضمن روايته شعرا اختاره بعناية من العصورالأدبية المتعددة، واقتطف نصوصاً نثرية من الأدب العالمي الشرقي والغربي. وضمّن روايته نصا باللغة الأجنبية، كما ذكر الكاتب عدداً من المعالم العالمية في الغرب والشرق؛ وكأنه يلمح بذلك إلى التنوع الثقافي الذي تعيشه بصيرا مكان الرواية الرئيس.

ولعلّ المؤلف قد أراد من هذه الرواية أنْ يُبين أهمية بصيرا قديما وحديثا؛ فجاء بتضمينات شعرية تمثل عيون الشعر العربيّ خلال عصور الازدهار، وذكر القارئ بأعمال عالمية مشرقية وغربية، وفي صراع الحضارات جعل بصيرا تنتصر بصيرا للحضارة الشرقية من خلال ابنها سارية.

التوصيات:

توصي الدراسة بضرورة إجراء المزيد من البحوث والدراسات المتعلقة بالأعمال الروائية، وهي قليلة في الأردن، وضرورة دراسة أثر الخروج (كما ورد في البحث)على المجتمعات، كما أنّ رواية حمّالة القمح تلمح إلى أثر الموظفين في التغيُّر والتغيير، وأثر الهجرات القسرية على المهاجِر، وعلى المجتمع المهاجَر إليه، وأهمية كلّ من المسجد والمدرسة في بناء المجتمع وتنميته واستقراره، وإقامة مدنيته المنشودة.

المصادر والمراجع:

- بحراوي، حسن، **بنية الشكل الروائي**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت،١٩٩٠
- التبريزي، الخطيب، **الكافي في العروض والقوافي**، حققه الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤
- جبر، محمد، **الضمائر في اللغة العربية**، دار المعارف، ١٩٨٣
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد الحسيني(ت٨٢٦)، **كتاب التعريفات**، ط١، دار الفكر، لبنان ٩٨
- حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط٣، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨
- حليفي، شعيب: **النص الموازي للرواية " إستراتيجية العنوان**، الكرمل، بيسان للصحافة والنشر، قبرص، عدد ٤٦، ١٩٩٢
- حمداوي، جميل، **السيموطيقا والعنونة**، عالم الفكر، الكويت، مج ٢٥، عدد٣، ١٩٩٧
- الخطيب، عماد علي، **دلالة أسماء الشخصيات في الرواية الأردنية**، مجلد ٢، عدد٢٥، ٢٠١١
- السعودي، أحمد، **حمّالة القمح**، ط١، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠١٩

- سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر، **الكتاب**، ط١، دار الجيل بيروت، تحقيق محمد عبد السلام هارون ١٩٩١
- العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل، أبوهلال، **كتاب الصناعتين**، حققه مفيد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١
- قاسم، سيزا، **بناء الرواية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب /القاهرة، ١٩٨٤
- القواسمة، محمد عبد الله، **البنية الروائية في رواية الأخدود** "**مدن الملح**" لعبد الرحمن منيف، دار الينابيع عمان /١٩٩٨.
- القضاة، محمد أحمد، **التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ دراسة في تجليات الموروث**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت، ٢٠٠٠.
- المتنبي، أحمد بن الحسين الجعفي الكندي أبو الطيب، **ديوان المتنبي**، شرح عبدالرحمن المصطاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣م
- محادين، عبد الحميد، **التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف**، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٩.
- مرتاض، عبد الملك، **في نظرية الرواية –بحث في التقنيات – السرد** سلسلة، عالم السرد ٢٤٠ الكويت، ١٩٩٨
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تركيا، ١٩٨٩. (د.ط).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، حققه: عبدالسلام هارون، دار الجيل بيروت، (د.ت.) (د.ط) .
- ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، حققه: مازن المبارك محمد علي حمد الله، ط١، دار الفكر، لبنا ن ١٩٩٨

الروابط :

١- الرابط : https://www.youtube.com/watch?v=gK4TVcGMnVY

٢- الرابط :

https://www.facebook.com/1502779326622167/videos/1613741025525996

٣- الرابط https://www.facebook.com/1502779326622167/videos/1613741025525996

٤- الرابط :

ابن عياش من ضمن قصيدة مرسلة إلى أحد الأشراف الرابط :

https://al-shareef.yoo7.com/t552-topic

Sources and references:

-Bahrawi, Hassan, The Structure of the Narrative Form, The Arab Cultural Center, 1st Edition, Beirut, 1990

-Al-Tabrizi, Al-Khatib, Al-Kafi fi Al-Rasat and Rhymes, edited by Al-Hassani Hassan Abdullah, Al-Khanji Library, 1994.

-Jabr, Muhammad, Pronouns in the Arabic Language, Dar Al Maaref, 1983

-Al-Jerjani, Sharif Ali bin Muhammad Al-Husseini (d. 826), Book of Definitions, 1st Edition, Dar Al-Fikr, Lebanon 98

-Hassan, Tammam, Arabic language, its meaning and structure, 3rd edition, World of Books, Cairo 1998

-Halifi, Shuaib: Parallel Text to the Novel "Title Strategy, Carmel, Bissan Press and Publishing, Cyprus, No. 46, 1992

-Hamdawi, Jamil, Semiotics and Addressing, World of Thought, Kuwait, Vol. 25, No. 3, 1997

-Al-Khatib, Imad Ali, The Significance of the Names of the Characters in the Jordanian Novel, Volume 2, Number 25, 2011

-Al-Saudi, Ahmed, The Wheat Bearer, 1st floor, Dar Wael Publishing, Amman, 2019

- Sibawayh, Abu Bishr Othman bin Qanbar, The Book, 1st Edition, Dar Al-Jeel Beirut, investigated by Muhammad Abdel Salam Haroun, 1991.

-Al-Askari, Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl, Abu Hilal, The Two Industries Book, edited by Mufid Qumeiha, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1981.

-Qassem, Siza, The Structure of the Novel, The General Egyptian Book Organization / Cairo, 1984

-Al-Qawasmeh, Muhammad Abdullah, the narrative structure in the novel

-Alqudah, Muhammad Ahmed, The Narrative Formation of Naguib Mahfouz, A Study in the Manifestations of the Inheritance, 1st Edition, The Arab Foundation for Studies and Publishing / Beirut, 2000.

-Al-Mutanabbi, Ahmed bin Al-Hussein Al-Jaafi Al-Kindi Abu Al-Tayeb, Al-Mutanabbi's Diwan, Explanation of Abdul Rahman Al-Mastawi, 1st Edition, Dar Al-Maarifa, Beirut, 2003

- Mahadin, Abdel Hamid, Narrative Techniques in the Novels of Abdel Rahman Munif, 1st Edition, The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, 1999.

-Murtad, Abdul-Malik, On Novel Theory - Research in Techniques - Narration, Narrative World Series 240, Kuwait, 1998

-Arabic Language Academy, Intermediate Lexicon, Dar Al-Da`wah, Turkey, 1989. (Dr. i).

-Ibn Manzoor, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram, Lisan al-Arab, edited by: Abd al-Salam Haroun, Dar al-Jeel Beirut, (d.) (d.).

-Ibn Hisham, Abu Muhammad Abdullah Jamal Al-Din Al-Ansari, Mughni Al-Labib on the books of Al-Arabism, verified by: Mazen Al-Mubarak Muhammad Ali Hamdallah, 1st Edition, Dar Al-Fikr, Lebanon 1998

Links:

- https://www.youtube.com/watch?v=gK4TVcGMnVY
- https://www.facebook.com/1502779326622167/videos/1613741025525996
- https://www.facebook.com/1502779326622167/videos/1613741025525996
- Ibn Ayyash is among a poem sent to one of the supervisors. Link https://al-shareef.yoo7.om/t552